قراءة في رسالة المنهج للإمام حسن البنا

إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ.. بهذه الكلمات سطر الإمام حسن البنا أسس وقواعد دعوة الإخوان، وسعى لتحقيق العمل في شتى الميدان، وتربية الإخوان عليها.

وعلى الرغم أن الأستاذ البنا لم يسطر كثيرًا من الكتب، إلا أنه سطر التربية العملية في نفوس الرجال، وكانت رسائله منهجًا يحتذي به من سار معه.

فقد كتب الإمام البنا العديد من الرسائل منها (رسالة التعاليم) و(هل نحن قوم عمليون) و(دعوتنا).. وغيرها من الرسائل التي نُشرت في أكثر من دارٍ، وعلى المواقع الإلكترونية.

ورسالة (المنهج) كانت من الرسائل الأولى التي نشرها الإمام البنا حيث وضح فيها العديد من القضايا سواء التربوية أو السياسية، مثل نظام الكتائب الذي بدأ في سبتمبر عام ١٩٣٧م، ولقد طُبعت هذه الرسالة وعُممت على جميع شُعب الإخوان في رجب ١٣٥٧هـ، الموافق سبتمبر ١٩٣٨م.

حددت هذه الرسالة المراحل التي مرت بها الجماعة مثل: مرحلة التعريف والتكوين، وموقف الإخوان من الهيئات، مثل: السراي، والأزهر الشريف، والحكومات، والهيئات الإسلامية، والأندية والجماعات الرياضية والعسكرية، وموقف الإخوان من الهيئات الهدامة.

كما حددت أيضًا المطالب، ومنهج الإخوان الإصلاحي الذي يرتكز على قواعد الإسلام وتعاليمه، ومهمة الإخوان المسلمين- والتي حددها الإمام البنا- في تكوين أمة إسلامية تعتز بدينها، وتسير وفق ما جاء به كتاب الله وسنة نبيه في النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والإدارية والاقتصادية وغيرها.

أولًا: مراحل الدعوة

أوضح الأستاذ البنا أن طريق الإخوان المسلمين مرسومة محدودة معروفة المراحل والخطوات، ليست متروكة للظروف والمصادفات. ومراحل هذه الطريق ثلاث: التعريف، والتكوين،

والتنفيذ، أو الدعوة العامة، ثم الدعوة الخاصة، ثم العمل أو تغيير العرف العام، ثم الإعداد، ثم الإتمام.

التعريف (الدعوة العامة)

عبر الإمام البنا عما يجول في خاطره نحو الخطوة الأولى– التعريف– بقوله: «ويراد بها نشر الفكرة بين الناس، وإفهامهم إياها بصورة عامة، وتعرف القائمين بها إلى الشعب.. ولم نتخذ في هذه المرحلة من وسائل إلا الدروس والمحاضرات والكتب والنشرات والأسفار والرحلات.. ذلك إلى مساهمة الإخوان في شئون الخير العام من عمارة المساجد، والبر بالفقراء، وتقديم المذكرات الإصلاحية، وغير ذلك من الشئون التي تدخل في صميم الخير العام».

حيث عمد إلى البداية بهذه الخطوة حتى يتعرف أولًا الناس على دعوة الإخوان قبل أن يقرر كل واحد الانضمام إليها، ويصبح شخصًا مكلفًا بالمهام داخل الدعوة، وأيضًا لكي يستطيع خلال هذه المرحلة انتقاء الأفراد الذين يرتجى منهم تضحية في سبيل هذا الدين، وذلك قبل أن تبدأ مرحلة التكوين والتربية وتكليف المهام.

ولقد نجح الإخوان في تحقيق هذه المرحلة حتى بلغت شعبهم قبل الحل عام ١٩٤٨م ما يزيد عن ألفي شعبة، حتى أن إحسان عبد القدوس كتب في مجلة المصور عن الإمام حسن البنا: «الرجل الذي يتبعه النصف مليون».

التكوين (الدعوة الخاصة)

كانت فترة التعريف والتي امتدت من بداية الدعوة عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٨م على مدار العشرة سنوات انتشر فيها الإخوان في القطر المصري وخارجه ليعرفوا بدعوتهم وفكرتهم، وكانوا يسندون كثيرًا من المهام لكبار العائلات وأصحاب الشرف والنسب في خطوة لتعزيز الدعوة في بدايتها، لكن بعدما عرف الجميع هذه الدعوة كان لا بد من وضع أطر وأسس لتربية هؤلاء،

وتميز من يعمل لهذه الدعوة من أجل الله، وبين من التحق بها لنسب أو لغرض، ولذا كانت مرحلة التكوين حيث استهدف الإمام البنا غرس التربية الحقيقية في نفوس الجميع.

ويلخصها الإمام البنا في رسالته بقوله: «مرحلة التكوين، أو الدعوة الخاصة: ويقصد بها استخلاص فريق ممن عرفوا الدعوة واستجابوا لها، يفهمون الفكرة حق الفهم، ويطبقونها على أنفسهم ومن يليهم تمام التطبيق، ويستعدون لحمل أعبائها، والبذل في سبيلها، يمدهم ويؤازرهم بعض الخاصة من كبار الأمة ورجالها البارزين.. هذه المرحلة هي في الواقع أهم مراحل الدعوة، وعلى قوة العمل فيها أو ضعفه يتوقف نجاحها، وقد بدأنا هذه المرحلة إلى جوار المرحلة السابقة من وقت مضى، وحاولنا في سبيل ذلك محاولات سابقة، وقد وصلنا إلى مدى لا بأس به في قطع خطواتها، ولكن لا تزال هنالك خطوات أساسية لا بد من تحقيقها، ووسائل رئيسية لا بد من استكمالها حتى تنضج هذه المرحلة».

وبالفعل وضع الإمام البنا بعد ذلك رسالة الأسر عام ١٩٤٣م والتي حدد فيها طريقة التربية الخاصة لأفراد الإخوان من حيث التعارف، والتفاهم، والتكافل، ووضع لها الأستاذ البنا شعار (الفرد للجماعة والجماعة للفرد والكل للإسلام).

ولقد طالب الأستاذ البنا فيها بتعميم نظام الكتائب في شعب الإخوان بحيث يصل هذه الكتائب (٣٠٠) ثلاثمائة كتيبة في مدى أربع سنوات، فيكون مجموع الإخوان المنتسبين إلى هذه الكتائب (١٢٠٠٠) اثني عشر ألفًا من الإخوان المجهزين تمام التجهيز ماديًّا وروحيًّا.

التنفيذ

بعدما فصل البنا المرحلتين السابقتين ذكر المرحلة الثالثة بقوله: بهذه الوسائل والخطوات تتم المرحلة الثانية من مراحل طريق دعوة الإخوان المسلمين، ويتهيأ الإقدام على المرحلة الثالثة، وهي مرحلة التنفيذ وتحقيق المنهاج الكامل :{وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (الروم: ٤– ٥).

ثانيًا: موقف الإخوان من الهيئات المختلفة في مصر

تعددت الهيئات الإسلامية بمصر سواء الشبان المسلمين أو الجمعية الشرعية أو الأزهر أو غيرها من الهيئات والأحزاب أو السراي، مما جعله يوضح حدود العلاقة بين الإخوان وهذه الهيئات المختلفة والتي ذكر ذلك بقوله: «على الأخ المسلم أن يحدد موقفه وصلته بالهيئات المختلفة في مصر ليكون تعامله معها ونظره إليها خاضعًا لهذا التحديد، حتى لا يعادي من يستحق الموالاة، أو يحب من يستحق البغض، أو يشجع ناحية تعتبر حربًا على دعوته، فهناك قاعدة عامة تجب مراعاتها، هي أننا أصحاب دعوة نوجهها للناس جميعًا، فمنزلتنا من الناس منزلة الداعية من المدعوين، ومنزلة الناس منا منزلة المدعوين من الداعي، ذلك يشملهم جميعًا أفرادًا وجماعات وهيئات».

بهذه الكلمات التربوية وضع الإمام البنا الأطر العامة لعلاقة كل فرد من الإخوان مع مختلف الهيئات والتي كانت على رأسه السراي. والتي تولى الملك فيها في ذلك الوقت الملك فاروق والذي اعتنى بتربيته في هذا السن الشيخ محمد مصطفى المراغي– شيخ الأزهر الشريف– والسياسي المخضرم علي ماهر باشا، وكان الجميع يرجى فيه الخير، قبل أن ينكص على عقبيه بعد حصار الدبابات الإنجليزية للقصر في ٤ فبراير ١٩٤٢م ويفرضوا عليه وزارة النحاس مما كان لها تأثيرًا سلبيًا عليه دفعته للانسياق وراء اللهو.

فيقول: «موقف الإخوان من السراي موقف الولاء والحب، ولا يمنع ذلك من توجيه النصيحة الواجبة، وإعلان كلمة الحق إذ لاحظ المكتب ما يدعو إلى ذلك».

ثم يحدد موقف الإخوان من الأزهر الشريف بقوله: «الأزهر هو أمل المسلمين الباقي، وهو مظهر الفكرة الإسلامية، وله من ماضيه وحاضره وآثاره ما يجعله كذلك، فإعزازه إعزاز للإسلام، والنيل منه نيل من الإسلام، فموقف الإخوان المسلمين منه المحافظة التامة على مجده وكرامته، والعمل الدائب على إعزازه وإعلاء شأنه، وتأييده في كل خطة يراد بها خدمة الإسلام والمسلمين».

فلم يكن الإخوان المسلمين بديلًا يومًا عن الأزهر الشريف أو منافسين له، بل كانوا يترجمون دراسات ومنهج الأزهر ترجمة عملية تربوية على النفوس.

لم يؤيد الإخوان الحكومات التي قامت على أساس حزبي وسعت لتغليب المصالح الشخصية على مصالح الوطن، وشغلتها الحروب بينها وبين بقية الأحزاب الموجودة، مما أضرت بمصلحة وسمعة البلاد وجعلت الاستعمار يتلاعب بهذه الحكومات في سبيل أن تظل أكبر فترة في الحكم.

يقول الشيخ البنا: «لا يؤيد الإخوان أية حكومة تقوم على أساس الحزبية، وهم يعتقدون أن كل حكومة تقوم على غير الأصول والقواعد الإسلامية لا يرجى منها صلاح، ولا تستحق تأييدًا ولا مناصرة، ولهذا يطالبون دائمًا بالتعديل الذي يحقق نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره».

ثم يستمر في توضيح منهج الإخوان من الهيئات السياسية المختلفة بقوله: «هذه الهيئات ليس لها برامج محددة، وكل القائمين بشأنها والبارزين من أعضائها متأثرون بأفكار غير إسلامية في سياستهم العامة، حتى المستقيمين منهم في شئونهم الخاصة، وهم إلى جانب ذلك متخاصمون متنافرون، فالإخوان المسلمون لا يعترفون بهذه الهيئات كلها كقيادات صالحة للأمة».

أما موقف الإخوان من الهيئات الإسلامية فيصفها بقوله: «يتمنى الإخوان المسلمون لهذه الهيئات كل نجاح وتوفيق في مهمتها، ويشعرون أن الرابطة بينهم وبينها رابطة طبيعية بحكم وحدة الغاية والمنهاج، ويودون من صميم قلوبهم أن لو توحد المعسكر، واجتمعت الكتيبة، وسوى الصف، وتقدم المجاهدون».

ويضيف: «ويعمل الإخوان جاهدين لتقريب وجهات النظر بين الهيئات الإسلامية، وتعريف بعضها ببعض تمهيدًا لإنشاء اتحاد عام لها، ثم لاندماجها اندماجًا تامًّا في سبيل تحقيق منهاج موحد هو تعاليم الإسلام الفاضلة وأحكامه القويمة».

وتحدث فيها عن موقف الإخوان من الحركات الهدامة كهيئات التبشير بأديان غير الإسلام أو مذاهب تتنافى مع تعاليم الإسلام، أو أخلاق وعادات لا يقرها الإسلام، موقفنا من هذه الهيئات هو الخصومة.

المطالب

لم يتوقف الأمر على ذلك بل كتب في هذه الرسالة مطالب الإخوان سواء السياسية أو الاجتماعية وغيرها، حيث حدد أن منهج الإخوان الإصلاحي يرتكز على قواعد الإسلام وتعاليمه، وهم يريدون سيادة الفكرة الإسلامية وهيمنتها على كل مظهر من مظاهر حياة الأمة، مع الانتفاع بكل جديد لا يتنافى معها، ومهمة الإخوان المسلمين هي تكوين الأمة المسلمة، والاضطلاع بعبء تبليغ دعوة الرسول الأعظم من جديد.

حيث حدد الإصلاح في الجوانب السياسية بقوله: «نريد الحكومة الإسلامية الصالحة، والأمة العزيزة الحرة في الداخل والخارج».

وفي الناحية الإدارية التي حددها بقوله: «نريد الإدارة الصالحة المنتجة التي تؤدَّى بها الواجبات، وتنهض بها المشروعات، وتصان بها الكرامات، وتنتصر فيها الفضيلة والأخلاق، وتتركز الأعمال».

وفي الناحية الاجتماعية وهي الناحية التي اختصت بالعدالة الاجتماعية بين الأفراد، فقد كان من مطالبه: «المجتمع الفاضل المسلم الذي يظهر فيه الفرد مسلمًا، والأسرة مسلمة، والأمة متمسكة بتعاليم الإسلام».

لم تقتصر المطالب على الجوانب السابقة، بل اهتم بالجانب الاقتصادي ووضع العديد من النقاط الهامة التي وضحت الأساليب العلمية الإسلامية في المجال الاقتصادي فقال: «نريد الاستغناء بمواردنا، وتوفير الراحة ووسائل العيش لكل الطبقات، وتحقيق المشروعات الضرورية للأمة الناهضة».

جوانب التربية

لم تكن رسالة المنهج رسالة سياسية أو اقتصادية أو غيرها فحسب، لكنها كانت في المقام الأول رسالة تربوية حددت طبيعة الدعوة وأفرادها ثم موقف الإخوان في الهيئات الموجودة ورؤيته في الإصلاح في جميع مناحي الحياة.

ثم ختم الرسالة بالحديث عن كيف تتكون الكتيبة، والغرض من تكوينها «وهو السعي لتخريج صنف ممتاز من الشباب الإسلامي يقوم بعبء الدعوة، ووسيلة ذلك الدرس والتربية الروحية والرياضية التي تقوم على الطاعة والنظام والاستقامة وتقديس الواجب وتمام الاستعداد».

كما وضع الإمام البنا دستورًا إخوانيًا لأفراده للسير على نهجه فقال: «يتعهد كل أخ من أعضاء الكتيبة بالمحافظة على أداء الأوامر، واجتناب النواهي الشرعية، وبأن يجدد التوبة، ويرد الحقوق والمظالم إلى أهلها لأول عهده بالكتيبة، وبأن يمتنع عن المكيفات كلها، وعن السهر في غير ليلة الاجتماع، وبأن يأخذ نفسه بالجد والوقار دائمًا، مع محاسبة النفس والإقلال من الضحك، وبأن يحرص على الوقت؛ فلا ينفق جزءًا منه في غير فائدة، وبأن يقتصد بعض ماله مهما كان دخله للطوارئ، وبأن يسدد اشتراكه الشهري للمكتب العام، وبأن يتحدث بالعربية الفصحى ويستخدم التاريخ الهجري ما أمكنه ذلك، وبأن يترك حزبيته السياسية ويتخلى عن صلته بأية هيئة من الهيئات متى طلب إليه ذلك، وأن يضع ظروف حياته تحت تصرف الدعوة مضحيًا في سبيلها بكل شيء عند اللزوم، وأن يكون ملمًّا بالقراءة والكتابة أو يتعهد بتعلمهما إن لم يكن ملمًّا بهما».